مدرسة الاناث للاوقاف

بشرتنا الصحف المحلية ان وزارة الاوقاف ستنشئ مدرسة للبنات في احدى محلات بغداد وهو خبر يرتاح اليه القلب ولا سيما لان مدارس البنات نادرة جداً في العراق . ومن قرأ تقرير وزارة المعارف الرسمي الذي تنشره في الجرائد اخذه العجب ومزيد الاسف لضآلة ميزانية المعارف وقلة عدد المدارس وعلى الخصوص مدارس الاناث

ولنا الامل ان نرى من الامة حركة اعظم واقوى في سبيل هذه المسألة الحيوية فان النقص في تهذيب الفتاة نحول مهول في جسم الامة ، وضعف عظيم في حياتها الاجتماعية ، وتأخر كلي في طريق تقدمها

من اقدس واجباتنا ان نلح بالطلب على الامة بالاهتمام في تهذيب الفتيات وبذل كل التضحيات في شان تكثير مدارسهن . فهل من الجائز ان لا يكون (مثلاً) في بغداد المدينة العظيمة ، سوى بضع مدارس اناثية اولية وابتدائية ، فيما ان اصغر المدن في البلاد الراقية تحوي مدارس أكثر وأعظم وأرقى ؟

جواب سافر

الى حضرة الاديب المتحجب وراء امضاء « مناصر »

اشكرك على رسالتك الطافحة بالحقائق العصرية الراهنة ، المسفرة عن شوق شديد الى نجاح النهضة النسائية . ولا بد ان ينفسح المجال للمجلة فتنشرها . اما « رايك ان تبقى متكتماً حتى يحين وقت ظهورك لمساعدة الغاية التي يجب ان يعززها كل احد » ، فلا اناقشك فيه انما آسف على تحجب « مناصر » غيور فعال نحن اليوم في حاجة ماسة الى ظهوره

« ليلى »

العادات الوبيلة في قضية الزواج

ان للوالدين اعظم الحقوق على اولادهما لانهما سبب حياتهم ، وهما المسؤولان امام الله والناس عن تربيتهم وتهذيبهم . وعلى الاولاد ان يخلصوا لهما الطاعة والاحترام والمحبة والخدمة . الا ان الوالدين لا يجوز لهما قطعاً استعباد اولادهما وخنق حريتهم في امور لا ترضاها الشريعة والقانون ؛ من ذلك انهما في امر زواج اولادهما ، لا يجوز لهما ان يستغنيا عن استشارتهم والرجوع الى رأيهم . انما يجب عليهما ان ينوراهم في هذه المسألة الاساسية ويظهرا لهم الانسب والاصلح ويكونا لهم خير دليل في سبيل السعادة ؛ وان يبذلا بنوع خاص ، كل عناية واهتمام في شؤون البنات ؛ فانهن في غاية الاحتياج الى تدبير اهل حكماء منصفين ؛ وعلى الخصوص اذا كن في بلاد لم ينتشر فيها التهذيب الاناثي ، والحياة الاجتماعية الصالحة الراقية

ان الفتاة العراقية — وحالتها معلومة — لهي في اشد الحاجة الى تدبير اهلها ، في قضية زواجها واختيار النصيب الآمن والاحسن . ومن الواجب عليها ان تثق الثقة الوطيدة بعناية اهلها وحنانهم وخبرتهم . وعليهم ، هم كذلك ، اولاً : ان ينصفوها ناظرين الى سنها ومبلغ قوتها . وثانياً ان لا يبتوا في قضيتها حكماً ، دون ان يستشيروها

ويستفتوا عقلها وقلبها ، ويتأكدوا رضاها وارتياحها . ولا يسوغ لهم قطعاً ان يدبروا مسألة زواجها « بمعزلٍ عنها » ومن دون ان يطلعوها على جلية الحقيقة ، كما انه من الظلم الشنيع والجنايات الكبرى ان يجبروها على التزوج من رجل تكرهه ولا يمكنها العيش معه ، وان كان صديقهم او ولي نعمتهم

ولا يزال يحدث ، ويا للاسف ، ان تخطب الفتاة من اهلها وهي لا تعرف الخطيب الذي سيكون يوماً رفيق حياتها ، ومالك قلبها .... ولا يحل لها «في عرف الكثيرين» ان تسأل والديها عنه ، بل ان تتكلم في القضية ، بل ان تحضر محادثة اهلها في هذا الشأن ، واذا ما سمعت ، على سبيل الصدفة ، كلمة في هذا الخصوص ، اولفظ اسم الطالب او الخطيب وجب عليها ان تحني رأسها الى الارض خجلاً « وان تستحي جداً جداً » كانها اقترفت ذنباً عظيماً . فان تجاسرت على « عدم التظاهر » بالحياء والخجل ، فهي ثليلة الفضيلة ، كثيرة التمرد على اصول التربية ...

هكذا نوثر « القشور » على اللباب ! هكذا نتمسك بالتصنع والتمويه ، ونعود الاولاد الرياء والتزوير ونبذ الحقيقة والصراحة ! وفي هذا ، كما في غيره ، نرضى التأخر لانفسنا واولادنا !!

والاوجع من ذلك ، ان الفتاة اذا ما عرفت يوماً « من الذي

ستكون له » ورأت منه ما تكره ، اوسمعت عنه مالا ترضاه ، وضاق صدرها من تزوجه ؛ لا تتجاسر ان تقول في ذلك كلمة لوالديها ولا تتجرأ على استعمال حقوق حريتها الطبيعية والشرعية ، في التصريح بشعورها ، وابداء رأيها قبل العقد الذي يجب على الاطلاق ان يكون قائماً برضاها واختيارها ، لان عليه مبنية حياتها وحياة العائلة المزمعة ان تنشأ عن الزواج ؛ فضلاً عن ان جميع الشرائع الالهية والمدنية تصرح ان عقد الزواج يجب ان يكون برضا الزوجين ، وتشترط لصحة العقد استشارة البنت في شريك حياتها ..

ومن آثار الهمجية المهولة ان الفتيات في بعض قرانا يبعن ، حين تزويجهن ، باثمان معلومة يستوفيها الآباء ... »

قال محمد جميل بيهم في كتابه « المرأة في التاريخ والشرائع » : «... تلك هي السلوة على البنات وتزويجهن من غير استشارتهن ... عادة ، ما اظلمها واضرها . ، مشت بين البشر منذ توسع نطاق السلطة الفردية ، فاستعبد الرجل المرأة ، والاب الاولاد ، والقوي الضعيف استعباداً فادحاً ... »

اما تلك العادة الممقوتة فقد اخذت عن الامم القديمة وقد شجبتها جميع القوانين .... قامت عليها الشريعة المسيحية ثم جاءت الشريعة الاسلامية وكاتاهما انكرتاها وحرمتاها واوضحتا بمزيد الصراحة :

ان العقد الزواجي لا يصح الا برضا وقبول الرجل والمرأة . وهنا يقول المؤلف المقدم ذكره :

« جرى المسلمون في معظم الامكنة مجرى الامم القديمة ، في المساومة على البنات حين خطبتهن من غير ان يرجعوا لرايهن ؛ وكان ذلك عن تراث قديم احتفظ به معتنقوا الاسلام. اما الدين الاسلامي فهو يشترط لصحة العقد استشارة البنت في رفيق حياتها ... ودقق الاسلام في كفالة حقوق المرأة حتى قيل ان الخليفة عمر بن الخطاب امر بقصاص رجل اشتكته زوجة بانه غشها اذ اخفى شيبه بالخضاب لما خطبها .... ولا غرو ، فان الزواج هو من قبيل عقود الشركات السائرة ، ينكر فيه الغش ، كما يشترط به تراضي الشريكين نفسيهما واستفتاء « قلبيهما » مع « عقليهما » وعقول اهلهما. وما كان العلم الا ليثبت صحة « استفتاء القلوب » ، فهو قد يوحي للانسان عفواً ما لا يدركه بالتفكير »

* * *

قلنا ان تلك العادات الوبيلة ، اي اجبار البنات على التزوج من دون استشارتهن ، وبيعهن بيع السلع ، قد اخذت عن الامم القديمة وها اننا نلخص ماقاله البحاثون في ذلك ، وقد جاء مبسوطاً في كتاب « المرأة في التاريخ والشرائع » :

ان الشرائع عند البابليين والاشوريين ما كانت تسوغ للوالدين ان يزوجا ابنتهما بمن صلح لها ، بل تقضي على العذارى البالغات ان يجتمعن كل عام حيث يبيعهن كاهن الاوثان ، بالمزاد العلني ، مشترطاً ان يتخذهن المشترون زوجات لهم. واذا وقع خلاف بين الزوجين ، كان على ولي المرأة ارجاع ثمنها قبل الافتراق

واورد العلامة روسلر (*Rosler*) النمساوي انه كان للفرس في عهدهم الاول اعتقاد مذهبي عالٍ جداً وعوائد طاهرة ايما طهارة ، ولكن لما خضعوا هم والماديون لجارتيهما اشور وبابل في القرن الثالث عشر (ق . م .) اقتبسوا منهما بعض عقائدهما وتقاليدهما بحكم ان الناس على دين ملوكهم ... وصار شأن المرأة الفارسية مثل حال الاشورية في اواخر دولة اشور ، على انحطاط تام ، حتى قيل ان الفارسي له حق التصرف بها كانها سلعة ، وان يحكم عليها بالموت

وعند الترك المغول كان من حق الوالدين اجبار البنت على الزواج متى جاء الكفوء ... واذا مات الاب فالابن يجبر على التزوج من امرأة ابيه ؛ والاخ على زواج امرأة أخيه ؛ وابن الاخ على الاقتران بامرأة عمه ....

وعند الهنود على اختلاف اقوامهم ، عوائد شتى منها ان الرجل هو الذي ينضم الى عشيرة المرأة . ومن المشين ان يتقدم هو للخطبة

وانما على النساء ان ينتخبن الازواج . ولا يزال بعضهم يراعي الشريعة القاضية على الرجال بالزواج الباكر ، حتى انه اصبح عندهم من المشين عدم اقتران من يبلغ الثامنة عشرة من العمر . فنتج عن ذلك انه لوحظ في سنة ١٨٢٠ في مقاطعة « اجابونزا » فقدان البنات الى حد ان حاكم احدى المقاطعات الغربية الانكليزي أكد سنة ١٨٩٦ أنه لم يجد في سبع قرى من مقاطعته غير بنت واحدة ازاء مائة رجل . ولاجل ذلك قضت شريعتهم على اولياء البنات ان يبادروا الى تزويجهن حتى قبل ان يبلغن سن الثامنة

واما اليابان فكانوا يعتبرون المرأة (كما اعتبرها معظم الامم القديمة) متاعاً من امتعة الدنيا ، يتصرف بها الرجل كيف شاء . وكان مباحاً للرجل ان يبيع زوجته او ابنته

وعلى طريقة آسيا هذه جرت الامم الاوربية القديمة ؛ حتى انه عدا البرابرة وبقية الامم المتوحشة ، فان دولتي اليونان والرومان ما كانتا خيراً ممن سواهما بهذا الأمر : فالاب عند اليونان كان طلق التصرف في زواج ابنته من غير ان يكون لها حق في معارضته . واما عند الرومان فلم يكن له ذلك فقط ، انما كان له ان يفصل بين ابنته وبين زوجها ، الذي قد اختاره هو بنفسه ، وان كان لهما اولاد ، وتوطد قلباهما على المحبة ...

هذه هي العادات المستهجنة الوحشية التي حرمتها الشرائع الالهية والقوانين المدنية فزالت من معظم البلاد وبقي شيء منها في بلاد اخرى يتمسك به بعض الناس « في عصر النور والحضارة » ، تمسكهم به في عصور الظلمة والهمجية ؛ لا يصغون الى حاكم اوحكيم ، بل لا يراعون شريعة اوقانوناً ، ولا تمسهم عاطفة انصاف ومروءة ، ولا يكترثون للطبيعة ومطالبها وضروريتها

وعن هذه العادات القبيحة ينشأ الشقاق في الاسر ، والشقاء في العائلات ، والفساد في البلاد ، ويبقى التأخر سائداً ، والحياة مُرّة

ولن تدرس آثار تلك العادات الموبقة الا اذا عم التهذيب الانثوي وكوشفت الفتاة باسرار الحياة ، وانشئت على الحرية الحقيقية ، والاخلاق الشريفة السامية

وهذا التهذيب ، لن ينتشر في بلادنا « بفعل الرجال وحدهم » فان « الكثيرين » منهم — ويالاسف — لا يهتمون بامره كما يهتم القليلون المنصفون . وعليه فالنهضة النسائية العراقية الادبية اضحت امراً مستعجلاً لابد منه ، به يفك كثير من المعضلات ، وبه تخطف المرأة حقوقها « لان الحق اليوم لا يوفى وفاءً انما يخطف خطفاً »

وللنهضة النسائية ، من ابناء الوطن العزيز وبناته ، عاملون ومناصرون ، وان قلوا ، فحميتهم وفطنتهم ومروءتهم تتمم ما نقص من

عددهم . فان اقترن بتلك المزايا، «الثبات الحقيقي والاتحاد الاخوي، والتفاني التام » ، فقد صحت الاحلام الذهبية ، وقرئ السلام على تلك العادات الوبيلة ، وعقبتها العادات الموافقة للشرائع الالهية والقواعد الاجتماعية المحمودة

يا ابنة يعرب

للاستاذ الزهاوي

أخذت تعد همومها نفسي اللجوج علي عدا
اذ صورت لي نسوةً بالرافدين أثرن وجدا
وتذكرت ماقد اصا ب من الأسى ليلى وسعدى
وتألمت لمصاب وا حدةٍ بزوجٍ قد تعدى
فهمى هنالك دمعها يجري تؤاماً ثم فردا

* * *

ويل لقانيةٍ لها زوجاً يسوء اذا استبدا
قبلت به زوجاً ولم ترمن قبول الزوج بدا
جم الكراهة كلما زادت دنواً زاد بعدا
أبدى غراماً ثم أظـ ـهر غيرما قد كان أبدى
جعلت ترى في عينه برقاً وتسمع منه رعدا
ان الغرور لجاعل بين النهى والحق سدا

* * *

غصبوا النساء حقوقهن فلا تصان ولا تؤدى
القوم يا ابنة يعرب من جهلهم وأدوك وأدا
ظلموك ظلماً ما رأيـ ـت له وقد أمعنت حدا
لاتمسكي بالقوم ان القوم لايرعون عهدا
لم يعدلوا اذ غادروك صدى بكهف الدار فردا
ونسوا حقوقاً لايكو ن بدونهن العيش رغدا

. . . . . .

لوهذبت ام لربت عن هدى للشعب ولدا
واذا النساء ردين في شعبٍ فان الشعب يردى

. . . . . .

جميل صدقي الزهاوي

فكر عالم كبير في «ليلى»

نبذة من رسالة وجهها الى صاحبة المجلة ننشرها بمزيد الشكر

مرحباً بليلى وبام ليلى ؛ وسلام الله يغشى محيا الادب والفضل . وغير كثير على ام الربيعين ان تنبت زهرةً يصبو اليها عشاق الكمال وربات الجمال زينةً في الصدور او اكليلاً فوق هام .